المنظومة التربوية عند أرسطو

سعيـــــدي الونـــــاس: المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة

مقدمة:

يعد موضوع التربية من أكثر المفاهيم جدلا بين الفلاسفة والمفكرين وعلماء التربية حيث لم يتفقوا على وضع تعريف جامع يحدد بشكل دقيق مفهوم التربية. ودون أن نذهب في عرض مختلف التعريفات التي لا حصر لها، فإننا يمكن القول إن التربية هي تبليغ الشيء إلى كماله، أو كما يقول المحدثون هي تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئا فشيئا[1]. إنها الوظيفة التي تهيئ الفرد وتؤهله لكي يكون متكاملا من الناحية الجسمية والعقلية والانفعالية والخلقية والحركية من أجل مواجهة متطلبات الحياة بأوجهها المختلفة ...

وقد كان موضوع التربية أحد المواضيع الذي حظي باهتمام من طرف فلاسفة اليونان في سياق اهتمامهم بفلسفة الأخلاق والسياسة، نجد ذلك واضحا عند (أفلاطون) في كتابه "الجمهورية " ولدى أرسطو في كتابه "السياسة ".

وقد ازدهر الفكر التربوي لديهم حين بلغت الحضارة اليونانية مجدها في عصر ازدهار الديمقراطية الأثينية الواقع بين القرنين الرابع والثالث قبل الميلاد على غرار ازدهار مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، حيث وجد العقل اليوناني أرضا خصبة لنهضة فكرية راقية رافقتها نهضة تربوية وتعليمية.

ويؤكد المؤرخون أن اليونانيين هم أول من تناولوا موضوع التربية من زاوية فلسفية، إذ أثار فلاسفة اليونان جدلا كبيرا حول مفهوم التربية وتطبيقها ونطاق عمليتها وأهدافها، تماما مثلما طرحوا مشكلات الأخلاق والحرية والسعادة والفلسفة ... الخ وربما كان مفهوم التربية أكثر جدلا من غيره لما للتربية من ارتباط بحياة الناس على اختلاف ظروفهم وأفكارهم...ويعد (أفلاطون) و(أرسطو) أشهر فلاسفة اليونان من حيث اهتمامهم بموضوع التربية، وإذا كان الفكر التربوي عند سقراط وأفلاطون ينزع إلى المثالية، فإنه عند أرسطو كان يميل إلى الواقعية تماشيا مع نزعته التجريبية.

وعليه ارتأينا في هذا المقال المقتضب أن نبرز أهم خصائص التربية عند (أرسطو) والمبادئ التي تقوم عليها والأهداف التي ترمى إلى تحقيقها. لقد اعترف أرسطو قديما بأن تعريف التربية مهمة أصعب مما نتصور، ومع ذلك كان يصر على الضرورة القصوى لتعريف التربية وتحديد طبيعتها،

1- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1978، ص266.

وأنه لمن المجازفة أن يترك هذا الأمر في دائرة الكتمان[1].

لقد أثار أرسطو عدة تساؤلات حول موضوع التربية والتعليم لا تزال في بعض جوانبها محل جدال بين المفكرين وعلماء التربية حتى العصر الحديث.

فقد تساءل عن نوع التربية التي يجب أن تلقن للأطفال: هل ينبغي أن تكون واحدة أم متعددة؟ بمعنى هل من الضروري أن يتعلم الأطفال نفس التعليم أم يجب مراعاة ميول الأطفال واختلاف ملكاتهم العقلية وقدراتهم الفكرية ... فيتعدد بالتالي برنامج التعليم؟ ومن الأجدر على القيام بهذه الوظيفة؟ هل من المفيد أن توكل للآباء أم الأفضل أن تضطلع بها الدولة؟ وما هو البرنامج التربوي الذي يجب أن يعتمد في التعليم؟ وما هي طرقه وأساليبه؟ وما هي الأهداف المرجوة من التربية: هل غايتها تنمية القدرات العقلية أم تهذيب النفس أم تقوية الجسد؟

تلك هي أهم التساؤلات التي طرحها أرسطو حول موضوع التربية، وقد كان له فيها موقفا قد يقترب من موقف أستاذه (أفلاطون) لكن فيه ما يميزه عنه وما هو أصيل في فكره.

يرى أرسطو أن الانسان يمر في حياته بثلاثة أطوار:

-طور النشأة الجسمية
- طور النفس النزوعية
- طور نشأة القوى الناطقة أو الطور العقلي.

وينصح بأن تكون التربية ومواد التعليم تتماشى مع هذه المراتب الثلاث، وأن تسير التربية وفق هذا التطور الطبيعي، فتعنى في كل مرحلة من المراحل بتربية القوة التي تظهر فيها.

وعلى العموم يمكن تقسيم مراحل التربية والتعليم عند أرسطو في قسمين أساسيين:

-طور التربية الأسرية.
- طور التربية المدرسية.

أولا: أسس التربية الأسرية (oikia) la famille

1-مفهوم الأسرة عند أرسطو ومكوناتها

عند قدماء اليونان كانت تعني " المنزل"، ولا يفهم منها الآباء والأبناء فقط، بل أيضا الأنساب والأصول، وكذلك الخدم (العبيد) الذي لا تربطهم صلة قرابة بالآباء[2]. فالأسرة الكاملة عند قدماء اليونان كانت مؤلفة من العبيد والأحرار[3]. وهي عند

1- Lucien morin et louis Brunet. Philosophie de l'éducation, les sciences de l'éducation, la presse De l'université de Laval, cluebec 1992, p 10.

2- عبد الله عبد الدائم، التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 1984، ص80.

3- Michel crubellier, pierre pellegrim, le philosophe et les savoirs, édition du seuil, paris, 2002, p191.

أرسطو الجماعة القاعدية الأصلية الأولى، وهي الوحدة الرئيسية للدولة وليس الفرد كما اعتقد (أفلاطون) رغم أنها تحتاج إلى الفرد إذ يقول: " أن الإنسان بطبعه حيوان سياسي"[1]، أي أنه مدني أو اجتماعي بالطبع، ذلك لأن الإنسان لا يمكن أن يتصور وحده منعزلا مطلقا، لهذا فلابد أن يوجد في جماعة، وأول هذه الجماعة هي الأسرة.

ونجد داخل الأسرة ثلاثة أشكال للعلاقات: علاقة الزوج بالزوجة، علاقة الأب بالأبناء وعلاقة السيد بالعبد[2]. فالعلاقة التي تربط الزوج بالزوجة أساسها نزعة فطرية يميل فيها كل طرف الى الاتحاد بالآخر وغاية هذا الاتحاد تتمثل في الإنجاب، " لأن رغبة المرء في أن يعقب شبيها به رغبة طبيعية "[3]، القصد منها المحافظة على النوع واستمراره.

لكن العلاقة الزوجية لا تقتصر في الإنجاب فقط، إن اتحاد الزوجين يتجاوز الوظيفة البيولوجية الى إرضاء حاجات أخرى تتمثل في المطالب النفسية والاجتماعية والروحية[4].

وهذا ما قصده القرآن الكريم: " ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون"[5].

فكلمة "سكن" لا تعني تحقيق الحاجات البيولوجية الغريزية، بل تحمل كل معاني الطمأنينة النفسية والعفة الأخلاقية والسمو الروحي.

لكن مع حاجة الزوجين أحدهما للآخر، إلا أن أرسطو يرفض المساواة بينهما، بل أن أخطر ما طرحه أرسطو من أفكار حول الأسرة كانت تلك المتعلقة بالمرأة، حيث نظر إلى المرأة نظرة غاية في الدونية والاحتقار، فقد زعم أرسطو أن المرأة من الرجل كالعبد من السيد وكالبربري من اليوناني، فمن الطبيعي أن يأمر الزوج وأن تطيع الزوجة وهو رأس الأسرة، لأن الطبيعة وهبته القوة الجسمية والعقل الكامل، أما المرأة فهي أقل منه عقلا وأضعف منه قوة، وعليه فمن الخطأ –كما زعم أفلاطون– إن نبوئ المرأة منصبا سياسيا في الدولة، أو نسمح لها بالمشاركة في الأمور العسكرية لأن الرئاسة تهتدي بالعقل لا بالشعور والعواطف[6].

لهذا رأى أرسطو أن أفضل وظيفة لها هي حياة هادئة تكون لها السيادة المنزلية حيث تهتم بتربية الأبناء ورعايتهم والقيام بالأعمال المنزلية. غير أن في الأسرة علاقة أخرى تتمثل في علاقة الوالدين بالأبناء، وهي علاقة عاطفية، ودور الآباء

1 -ارسطو ، السياسة ، تر: الأب اوغسطينوس بربارة البولسي ، اشراف اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية، بيروت ، لبنان ، 1975 ، ص11.

2- ارسطو، المرجع السابق، ص8-9.

3- نفس المرجع، ص54.

4- فرونسيس وولف، أرسطو والسياسة، تر: أسامة الحاج المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1994، ص55.

5- سورة الروم، الأية 21.

6- أرسطو، المرجع السابق، ص37.

تجاه أبنائهم هو تربيتهم وتلقينهم مبادئ الأخلاق الفاضلة وغرس في نفوسهم حب الخير وكل أشكال القيم الإنسانية، لأن غاية التربية هي تلقين المناقب الحميدة، كما يسهر الآباء على نمو أبنائهم نموا سليما من الناحية الجسمية والنفسية والعقلية، إن نمو الطفل بين أحضان والديه واحتكاكه بهما يكسب الطرفين عواطف المحبة والعطف والحنان وهذا العامل له أثره في النمو السليم على شخصية الطفل، وواضح أن نظرة أرسطو هذه تتفق كثيرا مع الدراسات السيكولوجية الحديثة التي تبرز قيمة التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة، لذلك شدد أرسطو على قيمتها، ونادى بضرورة المحافظة عليها باعتبارها الخلية الأساسية في بناء الدولة، فسلامة الدولة واستقرارها مرهون بمدى تماسك الأسرة واستقرارها، وفي هذا الصدد انتقد أرسطو بشدة موقف أستاذه (أفلاطون) الداعي إلى الشيوعية حيث تزول في ظلها الأسرة, إذ رأى أنها دعوة تنافي الطبيعة البشرية وتعارض الفطرة الإنسانية "لأننا إذا ضحينا بالأسرة والأولاد فسينتهي الأمر إلى أن يكون الابن ابنا للجميع وليس لأحد، والأب أبا للجميع وليس لأحد، فتتميع العلاقات الطبيعية وتضيع العواطف البشرية"[1].

وقد بين أرسطو ما ينجم عن زوال الأسرة، من تفكك في العلاقات الإنسانية قائلا: "... فنفس الشخص هذا يدعوه ابنه، وذاك يدعوه أخاه، آخر يسميه ابن عمه أو يطلق عليه اسما آخر طبقا لصلات القرابة الدموية أو النسبية التي تربطه مباشرة أو تربط ذويه بذاك الشخص (...) فخير للمرء أن يكون ابن عم دنية، من أن يكون ابنا على تلك الطريقة"[2]، طريقة العيش خارج نطاق الأسرة، أي في إطار دولة أفلاطون الشيوعية.

يذكر أن لأرسطو على أستاذه في هذا المجال ميزة، وهي أنه عرف حياة الأسرة وذاق حلاوتها واستمتع بمحبة أبنائه، فحق له أن يقرر أن الآباء يحبون أبناءهم حبهم لقطعة منهم[3]، يضاف إلى هذا ممارسته لفن التربية مدة ثلاث سنوات كان فيها مربيا للإسكندر الكبير.

أما العلاقة الطبيعية الأخرى التي نجدها في الأسرة، فهي تلك التي تربط السيد بالعبد، فإذا كان من الضروري أن يتحد رجل وامرأة من أجل التكاثر والمحافظة على النوع، فكذلك في الاتحاد القائم بين السيد والعبد، فهو ضروري أيضا من أجل المحافظة على الذات وذلك عن طريق التمكن من أسباب العيش، وقد حدد أرسطو من هو السيد ومن هو العبد بقوله: " إنه طبيعي أيضا أن يأتلف الآمر والمأمور رغبة في البقاء: لأن من يمكنه ذكاؤه من الاحتياط للأمور هو بالطبع رئيس ومولى، ومن يمكنه جسمه من القيام بما يتطلبه ذلك الاحتياط هو بالطبع

1- أميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية، تاريخها ومشكلاتها، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1998، ص329.

2- أرسطو، السياسة، ص 53/52.

3- عبد الله عبد الدايم، التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت ط5، 1984، ص 79.

مرؤوس وعبد ومن ثم للمولى والعبد مصلحة واحدة"[1] فالعبد هو من كان بطبيعته غير قادر على أن يملك نفسه فيكون السيد هو العقل الموجه والعبد هو القوة المنفذة لأوامر السيد" ومادام لكل فن أدواته، فإن فن تدبير المنزل ينبغي أن يكون له أدواته، ومن هذه الأدوات ما هو حي ومنها ما هو غير حي، والعبد هو الأداة الحية وأهم الأدوات جميعا "[2].

فالعبد جزء من الوسائل والأدوات التي تمكن رب الأسرة من إنتاج ضرورات الحياة، إنه يقوم بالأعمال الشاقة ويسخر مع الحيوانات في عملية الإنتاج، لأن الطبيعة خصته بهذه الوظيفة، أما المواطن الإغريقي الحر فهو سيد لا يجوز استرقاقه، لأنه يجمع بين فضيلة الشجاعة التي يتميز بها أهل الشمال، وفضيلة العقل والذكاء التي يتمتع بها الأسيويون، والعبد يخلو من هذه الفضائل، فهو إذن أقل منزلة من السيد، لذلك ففضيلته في الخضوع والطاعة لسيده، ولا حرج في ذلك عند أرسطو، ولا ظلم مادام الاسترقاق سلوك طبيعي " لأن البعض أحرار بالطبع وأن البعض أرقاء بالطبع " [3]. فالتفاوت قانون الطبيعة، وكل الأشياء تخضع لمبدأ الأدنى والأعلى، وهذا القانون مشاهد في الطبيعة بأكملها، نلاحظ ذلك بين النفس والجسد، وبين العقل والنزوع، بين الإنسان والحيوان، بين الذكر والأنثى، وكلما وجد هذا التقابل فمن الخير للطرفين أن يسيطر الأعلى على الأدنى، أو يخضع الأدنى للأعلى[4]. وعلى هذا الأساس، فمن الخير أن تخضع المرأة للرجل، والرعية للحاكم، والعبد للسيد.

إن العبد إنسان اكتمل جسميا لكنه لم ينضج عقليا، لهذا فهو ناقص ويحتاج إلى توجيهه وقيادته، غير أن هذا النقص يلحق السيد أيضا، " فكما أن الذكر يتبع الأنثى بالضبط ويتحدد بها، يتبع السيد العبد، فليس يفيده في شيء أن يكون قادرا على "التصور" إذا لم يكن هناك أحد يتولى " التنفيذ"[5]. فالسيد يحتاج إلى العبد من أجل تنفيذ أوامره، وتجسيد تصوراته ومخططاته، والعبد أيضا مادام لا يقوى على التفكير، وبما أنه المحرك الأساس للعملية الإنتاجية الممارسة في الأسرة، فعمله يهدف أساسا إلى تحقيق الحاجات اليومية التي تضمن لجميع أفراد الأسرة الحياة، وبهذا تكون المنفعة الناجمة من عمل العبد مشتركة" لأن منفعة الجزء والكل واحدة، ومنفعة الجسد والروح واحدة، والعبد جزء من سيده، وكعضو حي من جسده وان كان منفصلا عن هذا الجسد[6].

لهذا نادى أرسطو بوجوب معاملة السيد لعبده معاملة حسنة إنسانية، وطالبه بعدم تعسف استخدام سلطته ضده. وبالرغم من قبول أرسطو للرق، إلا أنه نبه إلى أن الظاهرة تنطوي على التباس، لأن ابن

1- أرسطو، المرجع السابق، ص 17.

2- مصطفى النشار، تطور الفكر السياسي القديم، من صولون الى ابن خلدون، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، القاهرة 1999، ص 121.

3- أرسطو، المرجع السابق، ص17.

4- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت ط3، بدون تاريخ، ص202.

5- فرنسيس وولف، المرجع السابق، ص 63.

6- أرسطو، المرجع السابق، ص20.

العبد بالطبيعة لا يكون عبدا مثل أبيه بالضرورة، والعبد بالعرف قد يكون حرا بالطبع[1]، خاصة إذا كانت العبودية وليدة القوة العسكرية، كما يحدث في الحروب العدوانية، فكثيرا ما يكون المغلوب (الأسير) أفضل من الغالب وأخلق بالحرية والحكم[2]، لأن الحرب يمكن أن تكون ظالمة، وقد نبذ أرسطو هذا النوع من الاسترقاق كما رفض كل أشكال العبودية التي لا تقوم على أساس طبيعي. تلك هي خصائص الأسرة عند أرسطو ومكوناتها وأهميتها. إنها مؤسسة تربوية يستحيل الاستغناء عنها لأنها نواة المجتمع ووحدته البنائية، في أحضانها يشب الطفل ويترعرع وتتشكل اتجاهاته وتتبلور آرائه ويتم في إطارها البناء الأساسي لشخصيته.

2: مرحلة التربية الأسرية:

وتبدأ من الولادة حتى سن الخامسة، يكون هدف التربية موجه أساسا إلى الاهتمام بالجسم والخلق، ففي هذه المرحلة لا بد من رعاية خاصة للطفل من الناحية الجسمية، إذ من الضروري الاعتناء بالغذاء الصحي للطفل حتى يحميه من الأمراض ويساعده على اكتساب النمو السليم[3]، وبما أن "الجسد متقدم بالولادة على النفس (...) فمن باب الضرورة أن تقدم العناية بالجسد على العناية بالروح (...) على أن العناية بالجسد إنما هي لأجل العناية بالروح..."[4].

ويرى أرسطو أن أصلح الأغذية التي تناسب أجسام الأطفال في هذا الطور من عمرهم هي الأغدية التي تكثر فيها الألبان[5]، وينصح بتدريب الأطفال بالقيام ببعض الحركات الرياضية التي توافق سنهم، كما يدعو الآباء إلى تعويد أبنائهم حديثي الولادة على احتمال البرد، لأن ذلك مفيد جدا للصحة الجسدية[6]، للتذكير فإن أرسطو كان ابنا لطبيب من أطباء البلاط المقدوني، وكان شديد الاهتمام بالعلوم الطبيعية، وعلوم الحيوان، لذا نراه يتعرض للتربية البدنية بكثير من الاهتمام والقبول.

على أن الغاية من الاهتمام بالجسد في هذه المرحلة ليست تنمية الجسم فحسب، بل أيضا تهذيب الغزائر وتقويم السلوك، لهذا كان الهدف الأساسي للتربية الأسرية في هذه المرحلة المبكرة تهدف إلى تحقيق أغراض أخلاقية، وعليه نجد أرسطو يشدد على ضرورة أن يكون الكبار قدوة حسنة للصغار، لأن من طبيعة الطفل في هذه المرحلة ميله إلى التقليد[7]. لقد كان كتابه " الأخلاق إلى نقوماخوس " من أروع الكتب في فلسفة الأخلاق حيث بين فيه ماهية الفضيلة وضرورة التحلي بها على اعتبار أنها هي الخير المطلق، أي السعادة.

1- نفس المرجع، ص 17.

2- ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1991، ص 144.

3- أرسطو، المرجع السابق، ص423.

4- أرسطو، المرجع السابق، ص440.

5- نفس المرجع، ص411.

6- نفس المرجع، ص 411

7- نفس المرجع، ص 412 -413.

إن الفضائل عند أرسطو سواء كانت عقلية أو أخلاقية فهي عملية اكتساب، الفضيلة العقلية تكتسب بالمعرفة وتستمد من التعليم الجيد، أما الفضيلة الأخلاقية فتكتسب بالممارسة والعادة ومجاهدة النفس مثل باقي الحرف والفنون، فالبناؤون يصبحون بنائين بممارسة البناء، والموسيقيون يصبحون موسيقيين بممارسة العزف، كذلك الأفراد يصبحون قوم عادلين بممارسة العدل، وشجعان بممارسة الشجاعة ... والأمر نفسه بالنسبة للأطفال في مرحلة التنشئة الأولى، فهم في حاجة الى المعلم والمربي لتدريبهم على ممارسة الفضائل، تلك الفضائل التي تصبح لديهم عادة بفضل التكرار، فيصبحون بالتالي أفرادا فضلاء، لأن الإنسان الفاضل عند أرسطو ليس من يقوم بسلوك فاضل بل هو من أصبح لديه السلوك الفاضل عادة مستقرة،" فكما أن ظهور طائر خطاف واحد، لا يدل على بدء الربيع فكذلك لا يكون الإنسان فاضلا لأنه أتى الفعل الفاضل مرة واحدة "[1]

فالفضيلة معرفة وإرادة وممارسة، تستقر مع الوقت في أعماق الضمير الإنساني، فتدفن في اللاوعي بحيث تدفعنا لا شعوريا لعمل الخير. يتضح مما سبق أن نظرة أرسطو للتربية الأسرية تتوافق إلى حد كبير مع التربية الحديثة التي تؤكد على الدور الذي تضطلع به الأسرة في تحقيق حاجات الطفل البيولوجية والنفسية والخلقية.

فمسؤولية الأسرة عظيمة من حيث كونها المؤسسة التربوية الأولى التي تشكل شخصية الطفل (القاعدية) بحيث تضبط غرائزه وتهذب انفعالاته وتوجه سلوكه وتهيؤه للدخول إلى المدرسة بعدما يكون قد بلغ سن السابعة من عمره.

ثانيا: مرحلة التربية المدرسية

هي المرحلة التي يدمج فيها الطفل في الوسط المدرسي، بعدما يكون قد اكتسب بعض المبادئ الخلقية والمعارف الأولية التي تمكنه من التأقلم مع وسط مدرسي مغاير للوسط الأسري الذي تعود عليه.

1-التربية والسياسة:

إن التربية عند أرسطو هي من المهام المنوطة بالدولة، إذ لا ينبغي أن تترك للخواص[2]، بحيث يوجهونها حسب أهوائهم وميولهم الشخصية، وقد يدافع البعض عن التربية الخاصة مستندين إلى شعار: "المواطن يملك نفسه " بمعنى أنه حر في اختيار ماذا يتعلم، وكيف يتعلم، ومتى يتعلم، اعتقادا منهم أن ذلك من الأمور الخاصة التي لا يجب على الدولة أن تتدخل فيه ... وهذا اعتقاد مزعوم- في نظر أرسطو- لأنه من الخطأ أن يظن الفرد أنه مستقل بذاته عن الدولة، بل الجميع ملك للدولة، وكل مواطن هو جزء من الدولة والعناية بكل جزء يهدف بطبيعة الحال إلى العناية بالكل، وبما أن

1- أرسطو، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمه من اليونانية إلى الفرنسية وقدم له وعلق عليه بارتلمي سانتهلير، نقله الى العربية أحمد لطفي السيد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة 1924، ص 248.

2- أرسطو، السياسة، المرجع السابق، ص 420.

غاية الدولة واحدة فينبغي بالضرورة أن تكون التربية واحدة ومتشابهة بالنسبة للجميع[1].

إن للتربية المنزلية – مزايا–فهي تقوم على المحبة الطبيعية بين الآباء والأبناء، وتراعي الطبائع الفردية بدقة أكثر، ولكنها مع ذلك أدنى من تربية الدولة، لأن للقوانين من القوة الرادعة مالا يتوفر للأب أو لأي فرد آخر في الأسرة، ولأن الوالدين غالبا ما يكونان عاطلين عن العلم اللازم، وإن افترضنا فيهم التجربة، فإن هذه التجربة لا تغني عن العلم[2].

إن إلحاق أرسطو التربية بالدولة وإلحاحه على ضرورة أن تكون إلزامية وتحت رقابة الدولة، ليس الغرض منه تجنب الفوضى في النظام التربوي فحسب، بل يرتبط أيضا بهدف سياسي، هو تدريب النشء على الامتثال للقانون والخضوع له (...) وينبغي على المشرع أن يتأكد من أن التربية في دولته موجهة أساسا لخدمة الدستور[3] أو الدولة لأن بقاء الدستور مرهون بتكييف التعليم حسب شكل الحكومة[4]، ويتفق تصور أرسطو في هذا الشأن مع تصور أفلاطون، فالتربية عندهما لا بد أن يكون لها بعد سياسي، لأن هدفها الأساسي هو إنشاء وإعداد مواطنين أحرار أفاضل، يعيشون من أجل الدولة ولخدمتها. فالمواطن عند أرسطو مثل الملاح الذي يمثل فردا من الجماعة التي تدبر أمر السفينة وله دور مخصوص، كأن يكون الواحد جدافا والآخر ربانا أو مساعدا ... الخ.

ورغم أن كل عضو له فضيلة خاصة فإن ما يوحد بين هذه الجماعة هو غاية واحدة تتمثل في سلامة السفينة، مواطنو الدولة يشبهون الملاحين تماما، وبالرغم من اختلاف الوظائف التي يقوم بها كل مواطن فإن غايتهم المثلى هي سلامة الجماعة ... وعليه فلا وجود للمواطن خارج الدولة.

نشير إلى أن أرسطو يحرص دائما أن يكون وفيا لمبدأه الأخلاقي: " الفضيلة وسط بين رذيلتين " لهذا كان معلما معتدلا، فالتربية الجديرة بإنجاب مواطنين صالحين هي تلك التي تحقق توازن في تنمية مختلف الوظائف وتحافظ على قيمة كل وظيفة[5]، وعموما فإن نظام التربية الذي يهدف أساسا إلى تكوين المواطن الصالح، لا يتسنى له تحقيق ذلك إلا في ظل دولة مثالية فاضلة، يكون فيها المواطنون أفاضل، وما لم تحقق التربية هذا الهدف، فلا مجال للحديث عن المدينة الفاضلة.

هكذا يتضح أن أرسطو ينظر إلى التربية على أنها من المسائل الرئيسية التي يجب الاهتمام بها داخل الحياة السياسية وبالعودة إلى كتابه "السياسة" يتبين

1- أرسطو، السياسة، المرجع السابق، ص 420.

2- يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، ص183.

3- ألفريد ادوارد تايلور، أرسطو، تر: عزت قرني، دار الطليعة، بيروت، لبنان، 1992، ص 128.

4- ولد يورنت، قصة الفلسفة، تر: فتح الله محمد المشعشع، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ط4، 1979، ص99.

5- ايميل بريهيي، تاريخ الفلسفة اليونانية، تر: جورج طرابيشي، دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1998، ص323.

أنه لا يفصل بين الجانب التربوي والجانب السياسي، فالتربية والأخلاق والسياسة مسائل مرتبطة بعضها ببعض.

2 –النظام التربوي ومواد التعليم:

« lycèe » كان أرسطو في سن الخمسين حين أسس مدرسته (اللوقيون) أو (الليسية) "على غرار تأسيس أستاذه أفلاطون للأكاديمية، وقد تميزت مدرسته كونها لم تكن مدرسة للتأمل الفلسفي المجرد فقط، بل كانت مدرسة علمية تتبع منهجا تجريبيا واقعيا في البحث عن الحقيقة في مختلف العلوم[1]. وقد كان أرسطو يقدم نوعين من الدروس:

–دروس في الفترة الصباحية خاصة بالتلاميذ

– دروس في الفترة المسائية لعامة الناس

فالدروس الصباحية أنصبت أساسا على الاهتمام بالمسائل الفلسفية والعلمية الدقيقة، أما دروس المساء فكانت تشمل موضوعات تراعى قدرة الفهم لدى عامة الناس مثل الخطابة والشعر. وعلى العموم وبالرجوع إلى كتاب " السياسة" وتحديدا إلى الفصل الذي خصصه أرسطو للحديث عن التربية، فإن العديد من الباحثين يرون أن أطوار التعليم كما حددها أرسطو، يمكن حصرها في ثلاثة أطوار رئيسية، لكل طور أو مرحلة مقررات وأساليب ومدرسين:

الطور الأول: مرحلة التعليم الأولي

تبدأ من الخامسة إلى الثالثة عشرة من عمر الطفل، وهذه المرحلة بدورها نميز فيها بين نوعين من التعليم:

أ–مرحلة التعليم التحضيري:

وتبدأ من السنة الخامسة من عمر الطفل إلى سن السابعة، في هذه المرحلة يدمج الأطفال في الوسط المدرسي، لكن ليس بغاية اكتسابه المعارف العلمية، بل يقتصر وجوده في المدرسة على الاحتكاك بالأطفال المتمدرسين الذين يكبرونهم سنا[2]. وذلك بهدف تعرفهم على حياة المدرسة وتحضيرهم نفسيا لتلقي الدروس مستقبلا. وينصح أرسطو المربي أن يزود الطفل –التلميذ– ببعض النشاطات التي تناسب عمره، منها قيامه ببعض الحركات الرياضية حتى يتجنب الخمول والكسل، ويحافظ على رشاقة جسمه، كما يأمر المربين بإدراج حصة اللعب من أجل الترفيه عن النفس، شرط أن تكون تلك الألعاب معتدلة، لا هي شاقة مضنية أو مسترسلة في الرخاوة[3] كما لا يجب أن تكون منحطة، بل ينبغي أن تليق بالأحرار، حيث يقول: " ينبغي أن يكون شطر من ألعاب الصغار محاولات تقتدي بالمهام التي تنتظرهم كبارا"[4]، أي أن غاية اللعب ليس قتل الوقت، أو مجرد الترفيه، بل هدف اللعب هو إعداد

1– مصطفى النشار، فلسفة أرسطو والمدارس المتأخرة، دار الثقافة العربية – بدون طبعة – 2006، ص 20.

2– أرسطو، السياسة، المرجع السابق، ص 414.

3– أرسطو، السياسة، المرجع السابق، ص412

4– نفس المرجع، ص 41

النشء للتزود ببعض المهارات التي تهيئهم لاكتساب بعض المعارف مستقبلا، ويرفض أرسطو مصاحبة الأطفال للأرقاء لأن الرقيق بطبيعته جعلوا للأعمال اليدوية، ففطرتهم هي التي فرضت عليهم هذه المهن، وهي مهن–في نظر أرسطو لا تليق بالأحرار – كما يحضر كل كلام قبيح أو حديث سفيه أمام الأطفال لأن قابليتهم للتقليد تكون قوية في هذه المرحلة، الأمر الذي جعل أرسطو يشدد على ضرورة أن يضمن التشريع المدرسي قانونا يعاقب كل مربي لا يلتزم بالقواعد الأخلاقية التي تضبط العملية التربوية. هكذا يتضح أن الغاية القصوى من هذا التعليم التحضيري تكمن في تهيئة الطفل نفسيا وتكييفه اجتماعيا داخل محيط المدرسة أكثر من تلقينه المعارف العلمية.

ب–مرحلة التعليم الابتدائي:

تبدأ من سن السابعة حتى سن الثالثة عشرة[1]، يبدأ الطفل في هذه المرحلة بتعلم بعض المعارف الأولية، كالكتابة والقراءة والموسيقي والتربية البدنية، وقد ارتبطت كل مادة دراسية بهدف تربوي معين، فالأدب يشمل القراءة والكتابة ويعد تعلمها من الأمور الضرورية لأنهما يساعدان على اكتساب معارف أخرى منها استخدامهما في التجارة وتدبير شؤون المنزل والتعلم وشؤون السياسة[2].

أما الرياضة فكانت تشمل الجري والقفز والسباحة والمصارعة والتحكم في حركات الجسم وذلك تحت إشراف مربين ومعلمين وهي زيادة على كونها تمنح الجسم الصحة والقوة، فإنها تكسبه أيضا فضيلة الشجاعة[3]. أما الموسيقى فبرغم من أن تعليمها محل اختلاف بسبب تباين وجهات النظر حول أهدافها[4]، إلا أن أرسطو يرى أنها مفيدة لأنها تساعد على اكتساب الفضائل فكما أن الرياضة تهدف إلى تحقيق الانسجام بين قوى الجسد، كذلك الموسيقى فهي تعلم لتحقيق الانسجام والنظام في النفس.

إن الموسيقى رياضة للروح وأساس كل حياة رفيعة، بها تحب الروح الفضيلة وتستلهم الشجاعة، وباللحن والنغم يكسب الإنسان رهافة في فكره يستطيع بها أن يعظم المسائل الدقيقة والمشكلات المختلفة عن طريق الذوق السليم. لكن يجب أن نعلم أن الموسيقى التي كان ينشدها أرسطو ليست تلك التي تثير الغرائز وإنما هي تلك التي تهدف إلى تحسين الخلق وتهذيب النفس وتسمو بالروح.

الطور الثـــاني: مرحلة التعليم الثانوي:

وتبدأ من سن الرابعة عشرة حتى سن الثامن عشرة أو السادسة عشرة[5] من عمر الطفل في هذه المرحلة يواصل المتعلمون في دراسة المواد التي بدأوها في المرحلة السابقة، مع إلزامهم بدراسة النحو

1– أحمد على الحاج، أصول التربية، دار المناهج، عمان، الاردن، بدون طبعة، 2013، ص 81

2– أرسطو، السياسة، المرجع السابق، ص 424–426

3– أرسطو، السياسة، المرجع السابق، ص 423.

4– نفس المرجع، ص 423.

5– أحمد على حاج، المرجع السابق، ص 81.

والفلسفة والخطابة ثم التدريب العسكري، ولانتقاء الطلبة النجباء كانت تجرى امتحانات صارمة، من يرسب يلحق بالجندية بغاية الدفاع عن الوطن، أما الناجحون فيواصلون الدراسة بحيث يرتقون إلى مرحلة أعلى وهي:

الطور الثالث: مرحلة التعليم العالي:

خصصها أرسطو للدراسة العلمية التي تتطلب نشاطا فكريا عاليا، لأن غاية هذا النوع من التعليم هو التمرن على إدراك الحقيقة[1]، وتجدر الإشارة إلى أن أرسطو لم يذكر في كتابه " السياسة " نوع برنامج الدراسة العلمية في هذه المرحلة.

لكن يميل بعض الدارسين إلى الاستدلال ببعض المعطيات المستوحاة من تدريسه في (اللوقيون) والتي جعلتهم يفترضون على الأرجح أن تكون مواد التعليم تحتوي على الفلسفة والمنطق والأخلاق والسياسة والبلاغة والجمال، إلى جانب الاهتمام بالعلوم الطبيعية: كالطبيعة والنبات والحيوان والتشريح والطب، إلى جانب الميكانيك والجيولوجيا والجغرافيا[2].

أما عن مناهج التعليم وأهداف العملية التربوية، فيمكن القول أن أرسطو كان بارعا في تكييف طرق التدريس حسب طبيعة موضوع الدراسة، فنجده يعتمد على منهج الاستقراء في علوم الطبيعة على اعتبار أنها ذات طبيعة مادية تقبل الملاحظة والتجريب، لهذا نجد أرسطو يقوم باستقراء وقائعها الجزئية من أجل بناء القوانين ونفس المنهج تقريبا سلكه حين درس الظواهر الاجتماعية والإنسانية وكمثال على ذلك فقد استقرى تاريخ الدول لتفسير أسباب الثورات ونتائجها في مختلف الأنظمة السياسية[3]. – أما العلوم النظرية – كالمنطق والميتافيزيقا والرياضيات فقد اعتمد فيها أرسطو على منهج الاستنباط مراعيا في ذلك طبيعة هذه العلوم العقلية المجردة.

هذا ونشير إلى أن طريقة التدريس عند أرسطو اعتمدت –كما كان سائدا لدى حكماء اليونان – على الحوار والبرهان والإقناع والحجاج العقلاني مع تشغيل الحدس واللجوء إلى التمثيل والاستعانة بالأمثلة مع ربط الاستقراء بالاستنباط والتحليل بالتركيب.

أما فيما يخص أهداف العملية التربوية عنده فيمكن ذكر أهمها:

–تنمية العقل وتدريبه بما يكفل له أن يكون عقلا منطقيا، وهو أسمى الأهداف التي يجب أن تحققا العملية التربوية.

–وجوب مراعاة ميول الأطفال وتعدد الأفكار وبالتالي تعدد برنامج التعليم.

– تدريب المتعلم على التحليل والتعليل.

[1]– ايميل بريهيي، المرجع السابق، ص 323

[2]– على كريم، التربية اليونانية، مجلة دار الحكمة، بيروت، لبنان، ص 55 –57.

[3]– أرسطو، السياسة، المرجع السابق، ص 422.

– تكوين الإنسان الفاضل ولمواطن الصالح الذي يعمل من أجل سعادة المدينة (الدولة).

تقييم:

إن التربية كما تصورها أرسطو على الرغم مما تحمله من روعة وما توحي به من إعجاب إلا أنها لا تخلو من عيوب شأنها شأن التربية التي سادت المدن اليونانية عامة، إنها تربية أرستقراطية خاصة بتعليم يقتصر على أبناء المواطنين الأحرار النبلاء الذين يتمتعون بالحقوق السياسية والمدنية أما طبقة الصناع والتجار وكذا العبيد فليست لهم الحقوق المدنية، وبالتالي فلا يحق لهم إلا التعليم المهني[1] والحرفي ثم إن التعليم عنده ليس نمطا واحدا بل يختلف حسب الفئات الاجتماعية، هناك تعليم للأحرار، وتعليم للعبيد، وتعليم للمرأة...الخ وهذا يدل على النظرة الطبقية للمجتمع عنده، ولكن مهما كانت الانتقادات الموجهة لأرسطو في هذا الشأن يبقي فيلسوفا غزير المعارف وأستاذا بارعا، آراؤه في التربية تستحق الاهتمام لأنها تتصف بالنظرة الواقعية، لهذا كانت أعمق وأوضح من نظرة أستاذه أفلاطون.

وخلاصة القول إن هدف التربية عند أرسطو هي أن تجعل الإنسان إنسانا، بأتم معنى الكلمة، وبدونها لن يعد الإنسان إنسانا أبدا، وهذا ما قصده حين قال إن الإنسان يعد أفضل الحيوانات إذا تمت تربيته وإعداده وتعليمه جيدا، لكنه يكون أسوأها إذا ما نحن أغفلنا أمره وأهملنا تربيته وتجاهلنا تعليمه[2].

قائمة المراجع:

(1) القرآن الكريم، سورة الروم، آية 21.
(2) أرسطو، السياسة، ترجمة أوغسطينوس بربرة البولسي، تر: أحمد لطفي السيد، اللجنة الدولية لترجمة الروائع الإنسانية، بيروت، لبنان، 1975.
(3) أرسطو، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ترجمه من اليونانية الى الفرنسية وقدم له وعلق عليه بارتلمي سانتهلير، نقله الى العربية أحمد لطفي السيد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة 1924.
(4) اميرة حلمي مطر، الفلسفة اليونانية، تاريخها ومشكلاتها، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1998.
(5) ايميل بريهيي، تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة جورج طرابيشي، دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1998.
(6) ألفريد ادوارد تايلور، أرسطو، ترجمة: عزت قرني، دار الطليعة، بيروت، 1992.
(7) أحمد على الحاج، أصول التربية، دار المناهج، عمان، الاردن، بدون طبعة 2013.
(8) جميل صليبا، المعجم الفلسفي ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1978.

1– عبد الله عبد الدايم. المرجع سابق، ص 81.

2– أرسطو، السياسة، المرجع السابق، ص10.

(9) عبد الله عبد الدايم، التربية عبر التاريخ، دار العلم للملايين، بيروت ط5 ،1984.

(10) على كريم، التربية اليونانية، مجلة دار الحكمة، بيروت، د ت.

(11) فرونسيس وولف، أرسطو والسياسة، ترجمة: أسامة الحاج المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ط1، 1994

(12) مصطفى النشار، تطور الفكر السياسي القديم، من صولون الى ابن خلدون، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ط1، القاهرة 1999.

(13) مصطفى النشار، فلسفة أرسطو والمدارس المتأخرة، دار الثقافة العربية – بدون طبعة– 2006

(14) ماجد فخري، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار العلم للملايين، بيروت ط1، 1991.

(15) ولد يورنت، قصة الفلسفة، تر: فتح الله محمد المشعشع، ط4، منشورات مكتبة المعارف، بيروت 1979.

(16) يوسف كرم، تاريخ الفلسفة اليونانية، دار القلم، بيروت ط3، ب ت.

(17)- Lucien Morin et Louis Brunet. Philosophie de l'éducation, les sciences, de l'éducation , la presse De l'université de Laval , Québec 1992.

(18)- Michel Crubellier , Pierre Pellegrin ,Le philosophe et les savoirs , édition du seuil ,paris ,2002.